(المحاضرة السادسة)

فكرة حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية

ظهرت الديانة الإسلامية في القرن السابع للميلاد حيث بدأت الدعوة الإسلامية حين بعث الرسول محمد (ص) يهدي الناس من ضلال ويجمعهم من فرقة. والإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، وعبر الإسلام عن العقيدة (بالإيمان) وعن الشريعة (بالعمل الصالح). وأوجد الإسلام نظماً متكاملة لمعالجة شؤون الدين والدنيا. ويعد القران والسُنة المصدرين الأساسين للنظرية السياسية في الإسلام.

وتقوم تلك النظرية على مبادئ خمسة هي { العدالة ، المساواة ، الشورى ، التعاون بين الحاكم والمحكوم ، ومراعاة إصلاح المجتمع وحمايته من الرذائل } .

وقد رفعت الشريعة الإسلامية من مكانة الإنسان، ونصّت على مبادئ سامية وقواعد عامة تحث على تقدير الإنسان واحترام حقوقه وحرياته إذ إن الله قد كرمه وفضله على كثير من خلقه (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) سورة الاسراء (الاية٧٠). وجعل الله خليفته في الأرض (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)سورة البقرة (الاية٣٠).

أما حقوق الإنسان وحرياته فقد حرص الإسلام على كفالتها من خلال إقراره للمبادئ الآتية:

١: الحق في الحياة :

أحاطت الشريعة الإسلامية النفس البشرية بحصن منيع يحميها من الاعتداء على حياتها، حيث حرمت قتل النفس (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا

أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) سورة المائدة (الاية٣٢) وحرم الله الانتحار بقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) سورة النساء (الاية٢٩).

٢: حرية العقيدة:

ميز الله الإنسان عن مخلوقات كثيرة بملكة العقل والإدراك، لذلك دعت الشريعة الإسلامية الإنسانية إلى التفكير الحر والاستدلال على الحقائق بوساطة العقل واعتماد المنطق السليم، ولهذا نرى في كثير من آيات القرآن تأكيد على ذلك (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) سورة الانعام (الاية٩٨) ، وقوله (ولنبينه لقوم يعلمون) سورة الانعام (الاية١٠٥) ، وقوله تعالى (صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) سورة التوبة(الاية١٢٧)، وقوله تعالى (نفصل الآيات لقوم يتفكرون) سورة يونس (الاية٢٤)، وكذلك قوله تعالى (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون)سورة يونس (الاية٤٢).

وتأسيساً على ما سبق جعلت الشريعة الإسلامية الإنسان حراً في اختيار العقيدة التي يشاء وذلك في قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)سورة البقرة(الاية٢٥٦)، وقوله تعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)سورة يونس(الاية٩٩).

ودعى الإسلام الى اعتماد أسلوب الحوار والإقناع مع أصحاب العقائد الأخرى ومن ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) سورة النحل (الاية١٢٥).

٣: حرية الرأي:

دعى الإسلام الى حرية أبداء الرأي وجعلها واجباً على الفرد لا حقاً له فحسب. وقد ورد ذلك في نصوص قرآنية كثيرة منها قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) سورة النحل (الاية١٢٥) وكذلك قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)سورة ال عمران (الاية١٠٤) .

وحرية الرأي في الشريعة الاسلامية تقوم على مبدأين اساسيين ، الاول الشورى وهي لا تكون الا بأبداء الرأي بحرية تامة ، والاخر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا لا يحدث الا بإبداء الرأي في المنكر المنهي عنه او بالمعروف المأمور به .مع الاشارة الى ان حرية الارأي تتباين (من الناحية الشرعية) من حيث الموضوع ، فاذا كان موضوع ابداء الرأي مسألة دنيوية ، فللفرد حرية ابداء الرأي ولكن بدون عدوان على حقوق

الاخرين. اما اذا كان موضوع ابداء الرأي في مسألة دينية او (شرعية) فلكل مجتهد ان يجتهد برأي في حدود اصول الدين الكلية .

٤: المساواة :

أقر الإسلام مبدأ المساواة بين جميع الناس، إذ أنهم متساوون في القيمة الإنسانية المشتركة، وخلقهم الله من نفس واحدة، الأصل واحد والأب واحد. وفي ذلك قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات (الاية١٣).

والمساواة التي أقرها الإسلام تتضمن المساواة للأفراد كافة أمام القانون اذ لا فرق بين فرد وآخر بسبب الجنس أو اللون أو المال، ولا فرق بين حاكم ومحكوم، اذ يتساوى الجميع أمام القضاء. وكذلك لا يوجد امتياز في الإسلام لطائفة أو أسرة على الآخرين اذ لا امتياز إلا بالتقوى والعلم والعمل الصالح. وحتى محمد (ص) لم يميز من البشر (قل إنما أنا بشر مثلكم) سورة فصلت (الاية٦)، ويتضح مما تقدم ان الإسلام يقرر المساواة بصورها المختلفة، كالمساواة أمام القانون والمساواة أمام القاضي والمساواة في الحقوق والواجبات.

٥: حق الملكية :

اقر الإسلام حق الملكية وكفله، اذ يسرت الشريعة للإنسان سبل التملك والحصول على المال، وفسحت له مجال المنافسة والعمل والتفوق في ذالك. اذ ان حب المال فطرة بشرية (وتحبون المال حبا جما) سورة الفجر (الاية٢٠). وقد ارتبط إقرار الإسلام للملكية باعترافه بحق الإرث ، اذ وضع له أحكاماً ونضمه وقد أباح الإسلام الطرق المشروعة كافة لاكتساب المال، وحرم الطرق غير المشروعة للكسب، كالغش والربا والاحتكار.

وحق الملكية في الإسلام غير مطلق، ويعد بمثابة وظيفة اجتماعية، اذ ان على المالك ان يستعمل حقه في الملكية من دون تعسف أي لا يلحق ضرر بغيره، وان يراعي مصلحة المجتمع. واقر الإسلام بعض القيود أو الفرائض على ملكية الأموال ، اذ حرم كل من التبذير والتقتير، اذ ذم الله التبذير بقوله تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)سورة الاسراء (الاية٢٧) . وكذلك ذم التقتير بقوله (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) سورة التوبة

(الاية٣٤). واقر الاسلام الزكاة وجعلها ركن من أركانه، وهي حق لمستحقيها وليست منة ممن وجبت عليه. وذلك لقوله (والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم) سورة المعراج الاية (٢٤،٢٥).

٦: حق التعليم :

أفرد القران مكانة خاصة للعلم والعلماء في كثير من آياته، ووردت في أول سورة منه كلمة اقرأ (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق(الاية ١-٥).

ويروى عن الرسول (ص) قوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقوله (لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإذا ظن انه علم فقد جهل). أما المكانة الرفيعة للعلم والعلماء فتتضح من خلال قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) سورة الزمر (الاية٩)، وكذلك قوله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)سورة ال عمران (الاية٧).

٧:الحق في الخصوصية:

لقد كفل الإسلام حق الإنسان في الأمن على النفس والأسرار والعورات والبيوت، وتقرر ذلك في قوله تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله توابا رحيم)سورة الحجرات (الاية١٣)، ولما كانت البيوت موضع الأسرار ومحل الحياة الخاصة للإنسان فلا يجوز لأحد دخول المسكن بغير إذن واستئناس اذ يقول تعالى (أيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكا لكم والله بما تعملون عليم) سورة النور (الاية٢٧-٢٨).